تصنيفات ثنائيّة وثلاثيّة في القرآن الكريم (الأحزاب 58–59–60) أنموذجات دراسة –وصفيّة.

Dual and triple classifications in the Noble Qur'an (al-Ahzab 58-59-60) are model ..Descriptive study

د/ محمّد بن عبّو – أستاذ محاضر –أ– جامعة أدرار – الجزائر–

تاريخ الاستلام:2023/01/02 القبول:2023/03/11 النشر:2023/05/31

:

ملخّص المقال:

كثيرا ما تتداول كلمة تصنيف مرتبطة بأشياء محسوسة أو شبه محسوسة غلب استعمالها في هذا النّطاق، فهل هذا ينفي وجودها في الجوانب المعنويّة والمكافآتيّة ؟ وفي هذه المداخلة سأعرّج نحو آيات كريمة تصنّفت فيها النّاس تصنيفات معنويّة، مثنى وثلاث: فثمّة السّعداء وثمّة الأشقياء، وثمّة أصحاب الميمنة وثمّة أصحاب المشأمة، وثمّة السّابقون السّابقون، وقد عُبّر عنهم أيضا بأصحاب اليمين وأصحاب الشّمال،وثمّة حملة الكتاب...والآيات في هذا الشّأن كثيرة .

هي تصنيفات قرآنيّة شدّت انتباهي فوددت دراستها من حيث الدّلالة (المعنى)، مبيّنا الظّواهر التي تطغى على هذه التّشكّلات، وصولا إلى نتائج مستخلصة من عملية التّصنيف...وعلى الله قصد السّبيل.

الكلمات المفتاحيّة :كلمة–تصنيف– معنويّة – مثنى–ثلاث.

ABSTRACT

This word does not negate its presence in the moral aspects... In this intervention, I will go down to verses of dignity in which the people classified the moral categories, two and three: there are happy and the most honest and the owners of the starboard and there are owners And the former exiles were also expressed by the right-wingers and the owners of the North). The campaign of the Book (the Great Qur'an)... and the verses in this regard are many, mentioned once or again in opposing forms, or at the level of one party...

These are Qur'anic classifications that have attracted my attention and have been studied in terms of meaning, morphology and grammatical level, indicating the phenomena that dominate these formations,

Key words: word, classification, moral, two, there.

مقدّمــة:

فكرة التّصنيف كثيرا ما يتداعى ويتداول معها الجانب المادّي فحسب، دون الجانب المعنويّ فهل هي كذلك؟ و في هذا المقال أردت أن أتناول جانبا من جوانب التّصنيفات باعتبار الجانب المعنويّ المكافآتيّ والتي تخصّ بني البشر، على مستوى النّصوص القرآنيّة ، قال تعالى : ﴿ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾ **[الأنعام ، من الآية:38]**تصنيفات قرآنيّة شدّت انتباهي فوددت دراستها من حيث التّشكّل والدّلالة(المعنى والبلاغة)، فضلا عن المستوى النّحوي، مبيّنا الظّواهر التي تطغى على هذه التّشكّلات،وفوائد التّصنيف معتمدا الاستقصاء والإحصاء في ظلّ المنهج الوصفيّ ، من خلال التّدبّر في آي التّنزيل المذكورة في عنوان المقال ، وصولا إلى نتائج منها: دور منهج التّأمّل والنّظر والمقارنة في كشف الكثير من الحقائق...دون أن ننسى أنّ التّدبّر في آي التّنزيل أمر من الوجوب بمكان ، قال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾ **[ص:29]**والله المستعان.

أوّلا: فكرة عن التّصنيف:

وضع الأشياء في مجموعات تسهيلا لدراستها، وتقسيمها إلى أقسام وفئات، وفقا لأساس معين، كتصنيف المواد الكيمياويّة مثلا. يُيَسّر التّعامل معها. وقد صنّف الإنسان النّبات – قديما- إلى مجموعتين هما:

نباتات مفيدة من النّاحية الغذائيّة والطّبيعيّة، ونباتات عديمة الفائدة.

وقد قسّم أرسطو النّباتات بحسب شكلها العام إلى: أشجار. 2- شجيرات. 3- أعشاب.

وقسّم الحيوانات إلى:1- تعيش على اليابسة.2- تعيش في الماء. 3- تطير في الهواء.

ويُعدُّ المسلمون أوّل من جعل للتّركيب والوظيفة أهميّة في علم التّصنيف، ومن هؤلاء العلماء أبو منصور،وابن سينا،وابن البيطار،والكسائيّ، وغيرهم...وقد صنفّ العلماء-قديما- المخلوقات الحيّة إلى مملكتين،هما:المملكة الحيوانيّة والمملكة النّباتيّة،ولكلٍّ منهما خصائص وميزات...

ولم تقتصر عملية التّصنيف على علوم المادّة وعلوم الطّبيعيات فحسب، بل طُبِّقت على ميدان الآداب واللّغويات- فقد تدبّر ابن قتيبة الشعر فوجده أربعة أضرب..ضرب حسن لفظه وجاد معناه، وضرب منه حسن لفظه وحلا، وضرب منه جاد معناه وقصرت ألفاظه عنه، وضرب منه تأخّر لفظه ومعناه (قتيبة، 2010م، الصفحات 65-88).

وصنّف الشّعراء محدّدا معيار الإجادة، وقسّم الشّعراء إلى أربع طبقات، هي: شاعر حنذيذ يقول ويروي الجيّد من شعر غيره، وشاعر مفلق يُجيد الشّعر ولا رواية له، وشاعر فقط أو شويعر وهو فوق الرّديء بدرجة، وشعرور لا قيمة له (دراقي،

1984، الصفحات 121-122)، ولقد صنف ابن سلّام الشّعراء إلى طبقات معتمّدا النّاحية التّاريخيّة والفنّية فقسّم الشّعراء إلى جاهليين وإسلاميين ثمّ قسّم كلّ فئة منها إلى عشر طبقات في كلّ طبقة أربعة عشر شاعرا فحول يشتركون في بعض الخصائص الفنّيّة، دون أن ننسى تصنيف أبي زيد القرشيّ في كتابه جمهرة أشعار العرب حيث اعتمد معيار الجودة الفنّيّة وانتقى من خيرة أشعار العرب في الجاهليّة وفي صدر الإسلام، فانتقى تسعا وأربعين قصيدة، قسّمها إلى سبعة أقسام هنّ: المعلّقات فالمجمهرت، فالمنتقيات، فالمذهّبات، فالمراثي، فالمشوبات فالملحّمات (المجالي، .1999، الصفحات 44-55).

وثمّة تصنيف جرجي زيدان معتمدا الأغراض والمراتب فجعلهم في ثلاث عشرة طبقة، وثمّة تصنيف المستشرقين الأوربّيين معتمدين التّصنيف الجغرافي ليسره وسهولته مجتنبين التّصنيف الفنّي لصعوبته فقد صنّف أبكاريوس الشّعراء الجاهليين إلى ثلاث طبقات متفاوتة في العدد، الطبقة الأولى: أربعة عشر شاعرا -*14*، والثّانية اثنان وأربعون شاعرا -42- والثّالثة ثمانية عشر شاعرا-18- (زيدان، 1978، الصفحات 74-76). على أن ثمّة تصنيفات ضاعت مع ضياع كتب الطّبقات الكثيرة كطبقات الشّعراء لإسماعيل بن أبي محمّد اليزيديّ، وطبقات الشّعراء لأبي المنعم وطبقات الشّعراء لأبي حسّان الزّياديّ، وطبقات الشّعراء لعمر بن شبّة، وطبقات الشّعراء لدعبل الخزاعيّ، وطبقات الشّعراء الجاهليين لأبي خليفة الفضل بن الحُباب الجمحيّ (دراقي، 1984، صفحة 126)... ونشفع القول بتصنيف لأحد الشّعراء، في تخميسة من الرّجز، مؤدّاها:

والشّعراء فاعلمنّ أربعه فشاعر يجري ولا يُجرى معه

وشاعر يخوض وسط المعمعه وشاعر لا تشتهي أن تسمعه

وشاعر لا تستحي أن تصفعه

والفقالغة أوالعمالغة القدامى كلّهم (بصريون وكوفيون) يكادون يجمعون على تصنيف الكلم العربيّ إلى ثلاثة أقسام، سمّيت عندهم أصناف الكلم، وهي: اسم، وفعل، وحرف، جاء ذلك على لسان سيبويه (ت180هـ) والزّجّاجيّ (ت327هـ) والأنباريّ (ت328هـ)، والفارسي(ت377هـ)، وابن فارس(ت395هـ)، والبطليوسي(ت521هـ)، والزّمخشريّ(ت538هـ)، وابن يعيش (ت643هـ)، وابن الحاجب (ت646هـ)، وابن عصفور (ت669هـ)، وابن مالك (ت672هـ)، والرّضي (ت686هـ) وابن هشام (ت 761هـ) والسّيوطيّ (ت 911هـ)، وغيرهم.

بل وعمّموا هذا التّقسيم على كلّ اللغات وعدّوا المخالف له لا يعتدّ بخلافه، يقول المبرّد:« لا يخلو الكلام عربيا كان أو عجميّا من هذه الثّلاثة ». وهذا التّقسيم يُهتدى إليه ببدهيّة الفعل بغير برهان ولا دليل، يقول الزّجّاجيّ متحدّيا أن يأتي أحد بقسم رابع: « والمدّعي أنّ للكلام قسما رابعا أو أكثر ممّن خمّن أو شاكّ، فإن كان متيقّنا فليوجد لنا ضمن جميع كلام العرب قسما خارجا عن هذه الأقسام الثّلاثة، ليكون ذلك ناقضا لقول سيبويه، ولن يجد إليه سبيلا. (الزّجّاجيّ، 1959م، صفحة 43) ». ولم يخرج أحد عن هذا التّقسيم، غير أنّه قد روي أنّ أبا جعفر بن صابر الذي أضاف قسما رابعا هو اسم الفعل، سّماه الخالفة، واختلف في أسماء الأفعال فمنهم من عدّها في عداد الأسماء، ومنهم من عدّها في عداد الأفعال ومن المحدثين من اعتمدوا تقسيما

رباعيّا إبراهيم أنيس ومهدي المخزوميّ، وهناك من سبّع التّقسيم، ومنهم تمّام حسّان لعدم اقتناعه بالتّقسيم الثّلاثي فقسّم الكلمة إلى الاسم –الصّفة–الفعل– الضّمير–الخالفة– الظّرف–الأداة (الرّدينيّ، مباحث لغويّة ، .، الصفحات 149–152) وقد اعتمدوا في التّصنيف على المبنى حينا والإسناد أساسهم، كما اعتمد فريق آخر على الوجهة المعنويّة الدّلالية بغض النّظر عن صلاحيتها للإسناد ؛حيث إنّ افتراق الكلمات مردّه إلى دلالة كلّ كلمة على المعاني التي وضعت بإزائها وقد تبنّى أكثر النّحاة هذا الأساس في التّقسيم المعنى (الاستراباذي، 1982، صفحة 7).

بله وعلى أشرف كتاب، حيث صُنِفت آيه بحسب الموضوعات،وممّا يلفت الانتباه إلى حدّ كبير الشَّبَه الواضح بين معاجم الحقول الدّلاليّة الحديثة ومعاجم الموضوعات القديمة في اللّغة العربيّة إذ أنّ كليهما يقسّم الأشياء إلى موضوعات، ويعالج الكلمات تحت كل موضوع، وكليهما قد سبق بنوع من التأليف الجزئي، المتمثّل في جمع الكلمات الخاصّة بموضوع واحد ودراستها تحت عنوان واحد. ومنها موضوعات عالجها العرب في رسائل، أو كتيّبات خاصة (الرّدينيّ، المعجمات العربيّة دراسة منهجيّة، 2006، الصفحات 34–45،35)، وكانت كلها مأخوذة من أشياء موجودة في البيئة، منها:

كتاب الحشرات لأبي خيرة الأعرابيّ،ولأبي حاتم السّجستانيّ. كتاب اللّحن والعسل، لأبي عمرو الشّيبانيّ، والأصمعيّ، وأبي حاتم السّجستانيّ،وكتاب الحيّات والعقارب لأبي عبيدة،وكتاب الذّباب لابن العربيّ. كتاب الجراد لأحمد ابن حاتم، ولأبي حاتم السّجستانيّ، وللأخفش الأصغر،وكتاب الإبل لمؤلّفين كثيرين ،وكتاب البئر لابن الأعرابي،وكتاب الخيل لمؤلّفين كثيرين،وكتاب خلق الإنسان لمؤلّفين كثيرين.. (عزّوز، 2002، الصفحات 19–23).

وثمّة من صنّف الحركات والتّصرّفات الجسمانيّة، فهذا (الحاج عبد الرّحمن حفصيّ، ت2018م) أحد أعلام منطقة تيديكلت الجزائر يؤلّف في أنواع الضّرب إذ يقول في أرجوزة له:

الضّربُ أنواع لكلّ واحـــد اسم يخصّه ولا من جاحـــد
أوّلها فالضّربُ باليد على مقدّم الرّأس يُسمّى فاعقلا
بالصّفع ثمّ إن يكن على القفا باليد يدعى الصقع يا أخا الوفا
وإن يكن بها على الوجه بدا فالصّـــكّ سمّه بجانبك الرّدى
وفي المرتّل فصكّت وجهها تلفه في " والذّاريات فارعها
وإن يكن باليد فوق الخدّ بالذّات فهو اللّطـــم دون كدّ
وإن يكن هو على الصّدر يُرى والجنب باليد فبالوكز جـــرى
وفي المبين حين موسى وكزا قبطيّ فرعـــون عليه أجهـــــزا
والوخز إن كان على الجنب ظهر بإصبـــــع قطّ فذاك المعتبر
وذاك في لغتـــنا مشهـــور ستّـــــــة أنواع له تـــدور

والملاحظ أنّ هذه الأبيات مشحونة بجملة من الاقتباسات، خصوصا من القرآن الكريم، بل من القصص القرآنيّ – ثمّة الاقتباس من قوله تعالى في شأن امرأة لوط عليه السّلام: ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ الذّاريات: 29.

وثمّة اقتباس من قوله تعالى حكاية عن سيّدنا موسى عليه السّلام وقبطي قوم فرعون: ﴿ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾[القصص:]15. والملاحظ كذلك ظاهرة التّضمين العروضيّ ، خصوصا بين البيتين الثّاني والثّالث حيث لم يتمّ معنى البيت السّابق إلّا باللّاحق .

ثانيا: شذرات من التّصنيف في التّنزيل:

والمتتبّع لفكرة التّصنيف في تراثنا الأصيل يلفها واردة في القرآن الكريم موغلة إلى مرحلة خلق الموجودات،انطلاقا من سمة الزّوجيّة التي هي الأساس في المخلوقات مما نعلم، وممّا لا نعلم، قال تعالى:﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ ﴾**[يس:36]**. وقوله جلّ وعلا:﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾**[الذّاريات: 49]**.

بل وقد ذُكرت الزّوجيّة في العنصر البشريّ على وجه الخصوص، قال تعالى:﴿ أَيَحسِبُ الإنسانُ أن يُترَكَ سُدَى ألم يكُ نطفةً من منيّ تُمنَى ثمّ كانَ علقةً فخلقَ فسوّى فَجَعَلَ مِنهُ الزّوجينِ الذّكرَ والأنثىَ أليسَ ذلكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحيِيَ الموتَى﴾القيامة: 53-39].وقال جلّ شأنه: ﴿ للهِ ملكُ السّمواتِ والأرضِ يَخلُقُ ما يشاءُ يهبُ لمن يشاءُ إنَاثًا وَيَهَبُ لمن يَشَاءُ الذّكورَأو يُزوّجُهُم ذُكرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجعَلُ من يشَاءُ عَقِيمًا إنّهُ عَلِيمٌ قدير﴾الشّورى:46-47.]

وللّتصنيف فوائد جمّة أذكر، منها:

1- تنمية مجال التّفكير في عظمة الخالق سبحانه وتعالى.

2- إضافة معلومات جديدة مرتّبة لطالب العلم كفيلة لتنمية الاهتمامات العلميّة لديه.

3-سهولة دراسة المخلوقات الحيّة وسهولة الوصول إليها.

4- تمثّل عمليّة التّصنيف الأرضيّة الصّلدة في الصّناعة المعجميّة في أيّة لغة ما.

وفحوى القول هو أنّ كثيرا ما تُتَدَاوَلُ وتتداول كلمة (تصنيف) مرتبطة بأشياء محسوسة أو شبه محسوسة غلب استعمالها في هذا النّطاق،وهذا لا ينفي وجودها في الجوانب المعنويّة. تصنّفت فيها النّاس مثنى وثلاث: فثمّة السّعداء وثمّة الأشقياء قال تعالى:﴿ فَمِنهُم شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ فأمّا الذِينَ شَقُوا فَفِي النّارِ لَهُم فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَادَامَتِ السّمَوَاتُ وَالأرضُ إِنّ رَبَّكَ فَعّالُ لِمَا يُرِيدُ وَأَمَّا الذِينَ سَعِدُوا فَفِي الجَنَّة خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السّمَوَاتُ وَالأرضُ إِلّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيرَ مَجذُوذٍ﴾[هود:105-108].

وثمّة أصحاب الميمنة وثمّة أصحاب المشأمة، وثمّة السّابقون السّابقون، قال جلّ وعلا:﴿ فَأَصحَابُ الميمَنَةِ مَا أَصحَابُ الميمَنَةِ وَأَصحَابُ المِشأَمَةِ مَا أَصحَابُ المِشأَمَةِ وَالسّابِقُونَ السّابِقُونَ أُولَئِكَ المقَرّبُونَ فِي جَنّاتِ النّعِيمِ ثُلّةٌ مِنَ الآوّلِينَ وَقَلِيلٌ منَ الآخِرِينَ... ﴾[الواقعة:08-16].

وقد عُبّر عنهم أيضا بأصحاب اليمين وأصحاب الشّمال، قال تعالى:﴿ فَأَصحَابُ اليَمِينِ ما أَصحَابُ اليَمِينِ فِي سِدرٍ مَخضُودٍ وَطَلحٍ مَنضُودٍ وظِلٍّ مَمدُودٍ وَمَاءٍ مَسكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كثيرةٍ لامقطوعةٍ ولا ممنوعةٍ وفرشٍ مرفوعةٍ ﴾[الواقعة: 29-36].إلى آخر الآيات،وقوله جلّ وعلا: ﴿ وأصحاب الشّمال ما أصحاب الشّمال في سموم وحميم وظلّ من يحموم لا بارد ولا كريم " إلى آخر الآيات من السّورة المذكورة آنفا... وثمّة حملة الكتاب:﴿ ثُمّ أَورَثنَا الكِتَابَ الذِينَ اصطَفَينَا مِن عِبَادِنَا فَمِنهُم ظَالِمٌ لِنَفسِهِ وَمِنهُم مُقتَصِدٌ وّمِنهُم سَابِقٌ بِالخَيرَاتِ بِإِذنِ اللهِ ذّلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبِيرُ جَنّاتِ عَدنٍ يَدخُلُونَهَا ﴾... [فاطر:32-33]. قال المفسّرون: والآيات في هذا الشّأن كثيرة ومذكورة غير ما مرّة سواء في أشكال متضادّة، أو على مستوى الطّرف الواحد...

تصنيفات قرآنيّة شدّت انتباهي فوددت دراستها من حيث الدّلالة (المعنى)، و التّشكّل في المستوى النّحوي والصّرفيّ مبيّنا الظّواهر التي تطغى على هذه التّشكّلات وصولا إلى نتائج ذات بال...وفي هذه المداخلة سأعرّج نحو آيات كريمة تصنّفت فيها النّاس تصنيفات معنويّة، مثنى وثلاث: فثمّة السّعداء وثمّة الأشقياء وثمّة أصحاب اليمين، وثمّة أصحاب الشّمال، وثمّة السّابقون السّابقون، وثمّة حملة الكتاب (ظالم لنفسه –مقتصد – سابق بالخيرات) - وبخصوص هذه الآيات: ﴿ ثُمَّ أَورَثنَا الكِتَابَ الذِينَ اصطَفَينَا مِن عِبَادِنَا فَمِنهُم ظَالِمٌ لِنَفسِهِ وَمِنهُم مُقتَصِدٌ وَمِنهُم سَابِقٌ بِالخَيرَاتِ بِإِذنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الفَضلُ الكَبِيرُ جَنّاتِ عَدنٍ يَدخُلُونَهَا ﴾[فاطر: 32-33].

فقد اختلف في عود الضّمير في(فمنهم) فقال ابن عبّاس وغيره بأنّ الضّميرعائد على (الذين اصطفينا) وإنّ الأصناف الثّلاثة داخلة في أمّة محمّد صلّى الله عليه وسلّم، فالظّالم لنفسه العاصي المسرف والمقتصد هو متّقي الكبائر وهم جمهور الأمّة، والسّابق هو المتّقي على الإطلاق وقالت هذه الفرقة: الأصناف الثّلاثة في الجنّة، والقول نفسه لأبي سعيد الخدريّ استنادا لقول عائشة رضي الله عنها: " دخلوها كلّهم وربّ الكعبة، وقال أبو إسحاق السّبيعي: أمّا الذي سمعت منذ ستّين سنة فكلّهم ناج. وقال ابن مسعود:هذه الأمّة يوم القيامة أثلاث: ثلث يدخلون الجنّة بغير حساب، وثلث يحاسبون حسابا يسيرا ثمّ يدخلون الجنّة، وثلث يجيئون بذنوب عظام فيقول الله تعالى ما هؤلاء؟ وهو أعلم بهم، فتقول الملائكة هم مذنبون إلّا أنّهم لم يشركوا، فيقول الله تعالى:ادخلوهم في سعة رحمتي.

وروى أسامة بن زيد أنّ النبي صلّى الله عليه وسلّم قرأ هذه الآية وقال: كلّهم في الجنّة، وقرأ عمر هذه الآية، ثمّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «سابقنا سابق مقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له». وقال عكرمة والحسن وقتادة: « بعودة الضّمير في (منهم) عائد على العباد، فالظّالم لنفسه الكافر والمقتصد المؤمن العاصي، والسّابق التّقيّ على الإطلاق، وقالوا: هذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿**وكنتم أزواجا ثلاثة** ﴾ **[**الواقعة: 03**]**.والضّمير في (يدخلونها) على هذا التّأويل خاص بالمقتصد والسّابق، وباقي الآية بيّن... ». (المالكيّ، 1997م، صفحة 392).

وقال الزّمخشريّ في تفسيره الآية: فإن قلت: كيف جعل الجنان بدلا من الفضل الكبير (جنّات عدن يدخلونها) ؟ قلت: لأنّ الإشارة بالفضل إلى السّبق بالخيرات وهو السّبب في الجنات ونيل الثّواب، فأقام السّبب مقام المسبّب، وفي اختصاص السّابقين بذكر الجزاء دون الآخرين ما يوجب الحذر، فليحذر المقتصد، وليملك الظّالم لنفسه حذرا، وعليه بالتّوبة النصوح، ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه عن النّبيّ عليه السّلام أنّه قال: «سابقنا سابق مقتصدنا ناج، وظالمنا مغفور له». فإنّ شرط ذلك صحّة التّوبة، فلا يعلّل نفسه بالخدع (الزّمخشريّ، 1918م، صفحة 156). والآيات في هذا الشّأن كثيرة سواء في أشكال متضادّة، أو على مستوى الطّرف الواحد ﴿إِنَّ المسلمينَ والمسلماتِ والمومنينَ والمومناتِ والقانتينَ والقانتاتِ والصّادقينَ والصّادقاتِ والصّابرينَ والصّابراتِ والخاشعينَ والخاشعاتِ والمتصدّقينَ والمتصدّقاتِ والصّائمينَ والصّائماتِ والحافظينَ فروجَهم والحافظاتِ والذّاكرينَ اللهَ كثيرًا والذّاكراتِ أعدّ اللهُ لهم مغفرةً وأجرًا عظيمَا﴾ [الأحزاب: 35]...

والحقيقة فإنّ المتدبّر في هذه الآيات الكريمات باعتماد الدّلالة الصّرفيّة في (يدخلونها) يجد الواو ههنا للجماعة ، ولو كانت للمثنّى لكانت يدخلانها (بألف الاثنين) ، ومن ثمّ فسيقتصر الدّخول على طائفتين اثنتين ، ولو كانت الطّائفة واحدة لوردت عبارة (تدخلها) أو (يدخلها) للمفرد . ولما لم يكن الأمر كذلك ؛ أي : لم تكن هناك ألف التّثنية ، أو علامة الإفراد ، فقد ثبت أنّ الدّاخلين هم جماعة . وفضل الله تعالى يوتيه من يشاء ، قال جلّ وعلا : ﴿ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾[الحديد :21].

أولا:تصنيفات قرآنيّة تتعلّق بالجانب المعنويّ في الأحزاب الثّلاثة الأخيرة من الرّبع الأخير(الملك- عمّ- سبّح):

مواصلة لما سبق ذكره أعرض بعض الآيات الكريمات التي تناولت تصنيفا ما، منها قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[القارعة: 06-09] ، وقوله جلّ وعلا: ﴿ فَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرّةٍ خَيرا يَرَهُ وَمَن يَعمَل مِثقَالَ ذَرّةٍ شرّا يَرَهُ ﴾[الزّلزلة:08-09] ، وقوله جلّ وعلا: ﴿ إنَّ الذينَ كفرُوا من أهلِ الكتابِ والمشركينَ في نارِ جهنّمَ خالدينَ فيهَا أولئكَ هم شرُّ البريئةِ إنّ الذينَ آ منُوا وعملَوا الصّالحاتِ أولئكَ هم خيرُ البريئةِ ، جزاؤُهم عندَ ربّهم جنّاتُ عدنٍ تجرِي من تحتِها الأنهارُ خالدينَ فيهَا أبداً رضيَ اللهُ عنهُم ورضُوا عنهُ ﴾[البيّنة: 7-8]. وقوله جلّ وعلا: ﴿ فأمّا مَن أعطَى واتّقَى وصدّقَ بالحسنَى فسنيسّرهُ لليسرَى وأمّا من بَخِلَ واستغنَى وكذّبَ بالحسنَى فَسَنِيسّرهُ للعُسرَى ﴾[اللّيل:05-10].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿ قَدَ أفلحَ مَن زَكّاهَا وَقَد خَاب مَن دسّاهَا ﴾[الشّمس: 09-10].وقال أيضا: ﴿ ثُمّ كانَ من الذينَ آمنُوا وتواصَوا بالصّبرِ وتَوَاصَوا بِالمرحَمَةِ أُولَئِكَ أصحابُ الميمنةِ والذينَ كفَرُوا بآياتِنا هُمُ أصحابُ المشأمةِ عليهِم نارٌ موصدةٌ﴾[البلد: 17-20]. وقوله تعالى: ﴿ وُجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ عاملةٌ ناصبةٌ تصلى نارًا حاميةً تُسقى من عينٍ آنيةٍ ليسَ لهُم طعامٌ إلّا من ضَرِيعٍ لا يُسمنُ ولا يُغنِي من جوعٍ وجوهٌ يومئذٍ ناعمة لسعيها راضيةٌ في جنّةٍ عاليةٍ لا تُسمع فيها لاغيةٌ ... ﴾[الغاشية: 02-11]. وقوله عظّم شأنه: ﴿ إنّ الذينَ فتنُوا المومنينَ والمومناتِ ثمّ لم يَتُوبُوا فلهم عذابُ جهنّمَ وَلَهُم عذابُ الحريقِ إنّ الذينَ آمنُوا وعملُوا الصّالحاتِ لهم جنّاتُ تجرِي من تحتِهاَ الأنهارُ ذلكَ الفوزُ الكبيرُ﴾[البروج: 10-11].

وقال جلّ شأنه: ﴿ فأمّا مَن أوتِي كتابَهُ بِيَمِينِهِ فسوفَ يُحاسَبُ حسابًا يسيرًا وينقلبُ إلى أهلِهِ مسرورًا وأمّا من أوتِيَ كتابَه وَراءَ ظهرِهِ فسوفَ يَدعُوا ثبورًا ويُصَلّى سعيرًا ﴾[الانشقاق: 07-12]. وقوله جلّ وعلا:﴿ كلّا إنّ كتابَ الفجّارِ لفي سجّينٍ وما أدراك ما سجّينٍ كتابٌ مرقومٌ ويلٌ يومئذٍ للمكذّبينَ ﴾ [المطفّفين: 07-10].وقوله تعالى: ﴿ كلاّ إنّ كتابَ الأبرارِ لفي علّيّينَ وما أدراكَ ما علّيّونَ كتابٌ مرقومٌ يشهدُهُ المقرّبونَ ﴾ المطفّفين:18-21].

وقوله جلّ وعلا: ﴿ إنّ الأبرارَ لفِي نعيمٍ وإنّ الفجّارَ لفي جحيمٍ ﴾[الانفطار: 13-14]. وقوله جلّ شأنه:﴿ فأمّا مَن طغَا وآثرَ الحياةَ الدّنيَا فإنّ الجحيمَ هيَ المأوى وأمّا من خافَ مقامَ ربّهِ ونَهَى النّفسَ عن الهوَى فإنّ الجنّةَ هي المأوَى﴾[النّازعات: 37-40]، وقوله عظُم شأنه: ﴿ وُجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربّها ناظرةٌ ووجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ تظنّ أن يُفعَل بها فاقرةٌ ﴾[القيامة: 21-24]، وقوله جلّ شأنه: ﴿ فأمّا مَن أوتِيَ كتابَه بيمِينه فيقولُ هاؤمُ اقرءُوا كتابيه إنّي ظننتُ أنّي ملاقٍ حسابيَه فهو في عيشة رَّاضيةٍ في جنّةٍ عاليهِ قطوفُها دانيةٌ كلوا واشربُوا هنيئًا بما أسلفتُم في الأيّامِ الخاليةِ وأمّا من أوتِيَ كتابَه بشمالِه فيقولُ يا ليتنِي لم أوتَ كتابيَه ولم أدرِ ما حسابيَه يا ليتَها كانتِ القاضيةَ ما أغنَى عنّي ماليَه هَلَكَ عنّي سلطانيَه خذوهُ فغلّوهُ ثمّ الجحيمَ صلّوهَ ثمّ في سِلسِلةٍ ذرعُها سبعونَ ذراعاً فاسلُكوه إنّهُ كانَ لا يُومنُ باللهِ العظيمِ ولا يَحُضُّ على طعامِ المسكينِ فليسَ لهُ اليومَ ههنَا حميمٌ ولاَ طعامٌ إلّا من غسلينٍ لا ياكلهُ إلَّا الخَاطِئُونَ ﴾[الحاقّة: 18-37].

وقوله تعالى: ﴿ يَاأيُّها الذينَ كَفَرُوا لا تعتذرُوا اليومَ إنّما تُجزَونَ ما كُنتُم تَعملونَ ياأيّها الذينَ آمنُوا تُوبُوا إلى اللهِ توبةً نصوحًا﴾ [التّحريم: 07-]08. وقوله جلّ وعلا:﴿ ضربَ اللهُ مثلاً للذينَ كفرُوا امرأتَ نوحٍ وامرأتُ لوطٍ كانتَا تحتَ عبدينِ من عبادنَا صالحينِ فخانتَاهمَا فلم يُغنيَا عنهمَا من اللهِ شيئًا وقيلَ ادخلاَ النّارَ مع الدّاخلينَ وضربَ اللهُ مثلاً للذينَ آمنُوا امرأتَ فرعونَ إذ قالت ربّ ابنِ لِي عندكَ بيتًا في الجنّةِ ونجّنِي من فرعونَ وعملِهِ ونجّنِي من القومِ الظّالمينَ ﴾ [التّحريم: 10-11].

ثالثا:لمحات دالّة في ظلّ المعنى .

تُظهر هذه التّصنيفات فريق المومنين وما أعدّ الله لهم من ضروب النّعيم في درجات الجنّة، كما تُظهر زمرة الكفّرة الفجرة وما أعدّ الله لهم من ضروب الجحيم في دركات النّار بسبب ما اقترفوه من ذنوب ومعاص، قال تعالى: ﴿ وَلَا يظلمُ ربُّكَ

أحدًا ﴾[الكهف: 48].وقال جلّ وعلا: ﴿م عمل سيّئة فلا يُجزى إلّا مثلها ومن عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنّة يُرزقون فيها بغير حساب ﴾[غافر: 40]. إنّ جلّ التّصنيفات ههنا تكرّر فيها الجزاء، إمّا جنّة عدن وإمّا نارا تلظّى. ولنبرز المجموعة الأولى: ﴿ فأمّا من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية﴾: [القارعة: 06-07].

﴿فَمَن يعمَل مثقالَ ذرّةٍ خيرًا يرَه﴾[الزّلزلة: 08].وهذه الآية معدودة من جوامع الكلم، وقد وصفها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالجامعة الفذّة، وقال ابن مسعود قال: هذه أحكم آية في القرآن (عاشور، .، صفحة 495). ﴿ إنّ الذينَ آ منُوا وعملَوا الصّالحاتِ أولئكَ هم خيرُ البريئةِ جزاؤُهم عندَ ربّهِم جنّاتُ عدنٍ﴾[البيّنة: 07-08.]... « فقد قُوبِلَ حَالُ الكفرة من أهل الكتاب وحال المشركين بحال الذين آمنوا بعد أن أشير إليهم بقوله جلّ وعلا: ﴿وذلكَ دينُ القيّمةِ﴾[البينة: 05]. استيعابا لأحوال الفرق في الدّنيا والآخرة وجريا على عادة القرآن في تعقيب نذارة المنذرين ببشارة المطمئنين وما ترتّب على ذلك من الثّناء عليهم، وقدّم الثناء عليهم على بشارتهم على عكس نظم الكلام المتقدّم في ضدّهم ليكون ذكر وعدهم كالشّكر لهم على إيمانهم وأعمالهم، فالله شكور » (عاشور، .، صفحة 485).

وهذه الآيات التي عرضتها لعلّها كلّها تدور في فلك هذا الجزاء. ﴾قال تعالى: ﴿ فأمّا من أعطَى واتّقَى وصدّقَ بالحسنَى فسنيسّره لليسرَى ﴾[اللّيل 03-07]﴿ قد أفلحَ مَن زَكّاهَا﴾ الشّمس: 09].﴿ وتواصَوا بالصّبرِ وتواصَوا بالمرحمةِ أولئكَ أصحابُ الميمنة﴾[البلد: 17-18]. ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ لسعيهَا راضيةٌ في جنّةٍ عاليةٍ لا تُسمع فيهَا لاغيةٌ ﴾[الغاشية: 08-11.].. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴾[البروج: 11]. ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً ﴾[الانشقاق: 07-09]. ﴿ كلاّ إنّ كتابَ الأبرارِ لفي علّيّينَ﴾[المطفّفين: 18]. ﴿إنّ الأبرارَ لفي نعيمٍ﴾[الانفطار: 13، والمطفّفين: 22. ﴿ وأمّا مَن خافَ مقامَ ربّهِ ونهَى النّفسَ عن الهوَى فإنّ الجنّةَ هيَ المأوَى﴾[النّازعات: 39-40.]﴿ وُجُوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ إلى ربّهَا ناظرة﴾[القيامة: 21.22]. ﴿فهوَ في عيشةٍ راضيةٍ في جنّةٍ عاليةٍ قطوفُها دانيةٌ كلُوا واشربُوا هنيئًا بما أسلفتُم في الأيّامِ الخاليةِ ﴾[الحاقّة: 20-23].

المجموعة الثانية:

وهي تقابل المجموعة الأولى، وتتجلّى فيما يأتي:

قال تعالى: ﴿وأمّا من خفّت موازينه فأمّه هاوية﴾[القارعة:08-09]وقال جلّ شأنه:﴿ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا يره ﴾[الزّلزلة: 09]،قال المفسّرون: سمّى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم هذه الآية الجامعة الفاذّة حين سُئل عن زكاة الحمر فقال: ما أنزل الله فيها شيئا إلّا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿ فَمَن يَعمَل مِثقالَ ذَرّةٍ خَيرا يَرَهُ وّمّن يَّعمَل مِثقَالَ ذَرّةٍ شرّا يَرَهُ ﴾[الزّلزلة:08-09].، أخرجه البخاريّ (البخاريّ، 2011م، صفحة 462). وقال جلّ وعلا: ﴿ إنّ الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنّم خالدين فيها أولئك هم شرّ البريئة﴾ [البيّنة: 06]' وقال جلّ شأنه وتعالى جدّه: ﴿ وأمّا من بخل واستغنى وكذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى﴾[اللّيل: 08-10]. ﴿ وقد خاب من دسّاها﴾[الشّمس: 10]. ﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة عليهم نارموصدة﴾[البلد: 19-20]. ﴿ وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية تسقى من غيرآنية ليس لهم طعام إلّا من ضريع لا يُسمن ولا يُغني من جوع﴾[الغاشية: 02-07].﴿إنّ الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثمّ لم يتوبوا فلهم عذاب جهنّم ولهم عذاب الحريق﴾[البروج: 10]﴿ وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبورا ويُصلّى سعيرا﴾[الانشقاق: 10-12]. ﴿كلّا إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين وما أدراك ماسجّين كتاب مرقوم ويل يومئذ للمكذّبين﴾[. المطفّفين: 07-10]. ﴿وإنّ الفجّار لفي جحيم﴾[الانفطار: 14].﴿ فأمّا من طغا وآثر الحياة الدّنيا فإنّ الجحيم هي المأوى﴾[النّازعات: 37-38]. ﴿ووجوه يومئذ باسرة تظن أن يُفعل بها فاقرة ﴾[القيامة: 23-24. ﴿ وأمّا من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضيه ما أغنى عنّي ماليه هلك عنّي سلطانيه

خذوه فغلّوه ثمّ الجحيم صلّوه ثمّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه إنّه كان لا يومن بالله العظيم ولا يحضّ على طعام المسكين فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلّا من غسلين لا ياكله إلّا الخاطئون ﴾[الحاقّة: 24-37. ولكن تحاشيا لإطالة المقال اقتصرت هذه الورقة على الأحزاب الثّلاثة الأخيرة (الملك – النّبأ – الأعلى).

رابعا: مسحة نحويّة وصرفيّة:

إنّ المتدبّر في نسيج هذه الآيات يلفها في أغلبها تتراوح بين جمل اسميّة سواء مؤكّدة ب « إنّ » مع اسمها وخبرها، أو مفتتحة باسم الموصول « مَن » بمعنى« الذي »وقد تضمّن معنى الشّرط. فثمّة سبع جمل مؤكّدة بإنّ، فضلا عن جملة ثامنة مؤكّدة ب « قد »، وثمّة ستّ عشرة جملة موصولة ورد بعضها في محل نصب اسم إنّ ﴿ إنّ الذين...إنّ الأبرار...إنّ الفجّار...) وبعضها أُكّد بمؤكّدين اثنين(إنّ – لام المزحلقة) : ﴿ إنّ الأبرار لفي نعيم وإنّ الفجّار لفي جحيم﴾ [الانفطار: 13-14].ومن المعلوم أنّ لام المزحلقة للابتداء ، ولكنّ العرب كرّهوا الابتداء بمؤكّدين اثنين ، فزحلقوا ، أي : دفعوا هذه اللّام إلى الخبر ، فسُمّيت بلام المزحلقة ، وسمّى البلاغيون هذا الضّرب من الخبر بالخبر الإنكاريّ لاشتماله على أكثر من مؤكّد .

هذا ولقد وورد ما تبقّى من الجمل الموصولة في محلّ رفع، إمّا، في محلّ رفع مبتدأٌ، ومثال على ذلك: ﴿ من أعطى واتّقى﴾ وقد حُذف في هاتين الآيتين المفعول به،اختصارا، والتقدير: أعطى حقوق ماله للفقراء، واتّقى الله فلم يعصه، فالفعلان: (أعطى واتّقى) متعدّيان يحتاجان إلى مفعول به، ولقد حُذف المفعول به ههنا لتتحقّق المحاذاة بين الآيات السّابقة عليها واللّاحقة لها، وقوله تعالى: ﴿ ما ودّعك ربّك وما قلى): [الضّحى:03]. والفاعل (قلا) متعدّ، والقياس: قلاك. ولكن حُذف المفعول به لتتحقّق المحاذاة، وتتّسق الفاصلة. ومن ذلك حذف متعلّق (أفعل التّفضيل)، نحو: قوله تعالى: ﴿ يعلم السّرّ وأخفى ﴾ [طه: 07.]، والتّقدير: وأخفى من السّرّ، وقوله تعالى: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى: 17]، والتّقدير: خير وأبقى من الدّنيا. ومن ذلك حذف الفاعل ونيّة المفعول به، نحو قوله تعالى: ﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ [اللّيل: 19] فالفعل (تُجزى) استتر فيه المفعول، الذي ناب عن الفاعل، والتّقدير يجزي الله النّعمة (صالح، .، صفحة 452)... من بخل واستغنى..) والنّاظر فيما تخفيه ظاهرة الحذف من دلالات خصوصا حذف المفعول به يُدرك المجال الذي يفسحه هذا الحذف حتّى يتسنى للذّهن تصوّر ألوانا مختلفة متعدّدة من المفاعيل الممكنة في ذلك المكان كانت ستختصر بالذّكر في واحد وواحد فقط (خضر، 2009م، صفحة 190) .

على أنّ لحذف المفعول به أغراضا كثيرة، منها: الاختصار عند قيام القرائن ومنه الاحتقار، ومنه التّعميم لا سيما إذا كان في حيّز النّفي.. (الزّركشيّ، 2013، الصفحات 696-697). وفي اختصار الكلام ربح للوقت واختصار للجهد ، ولئن قلنا إنّ لغة الضّاد هي لغة اختصار؛ فقد اختصرت العرب الجملة بوساطة النّحت ، نحو : الحوقلة، والحقولة ، والحمدلة و، والبسملة ، والتّهليل ، والتّكبير ، والدّينار الجزائريّ (د.ج)وهلمّ جرّا...

والمتدبّر في عملية حذف المفعول به في فواصل التّنزيل يكاد يجزم بأنّها أكثر ألوان الحذف في الفواصل، يكون خصوصا مع واو الجماعة بصيغتي: يفعلون –تفعلون–يعملون –تعملون –يعلمون...كقوله تعالى:﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾[**الزّمر**: 9]،اجتزاء بدلالة السّياق.وفي بلاغة حذف المفعول يقول عبد القاهر الجرجاني:« اعلم أنّ أغراض النّاس تختلف في ذكر الأفعال المتعدّية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعنى التي اشتقّت منها للفاعلين من غير أن يتعرّضوا لذكر المفعولين...ومثال ذلك قول النّاس: فلان يحلّ ويعقد، ويأمر وينهي، ويضرّ وينفع...والمعنى في جميع ذلك إثبات المعنى لنفسه للشّيء على الإطلاق وعلى الجملة من غير أن يتعرّض لحديث المفعول حتّى كأنّك قلت: صار إليه الحلّ والعقد، وصار بحيث يكون منه حلّ عقد». ونثنّي بالحديث عن المبهمات، ومنها اسم الموصول، ومنه: الذين كفروا... –أمّا

من أوتي كتابه وراء ظهره ﴾ [الانشقاق:10.12] أمّا من طغا...أمّا من خاف مقام ربّه[النّازعات:40]... أمّا من استغنى[الأعمى:05]...وأمّا من جاءك يسعى... ﴾[الأعمى:08] ولا يخفى على الدّارس من أن صلة الموصول لا محلّ لها من الإعراب. وورد بعضها – وإن كان قليلا – مرفوعا بالفاعليّة ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشّمس: 09-10]

وما ورد منها مجرورا فهو قليل جدّا فقد ورد الجرّ مرّة واحدة: ﴿ ثمّ كان من الذين آمنوا... ﴾[البلد:17]. على أنّ أغلب الموصولات ههنا، هي موصولات عامّة (مشتركة) وهي قسيّم من قسيّمات الموصول الاسمي، والقسيّم الآخر الموصول الحرفيّ. فالموصول الاسمي هو نوعان:

1/ موصول مختصّ بمعنى وُضع له، كأن يختصّ بالمفرد المذكّر، وهو ثمانية: الذي –التي – اللذان – اللتان – الذين – الألى– اللّات – اللاء.

2/ موصول أسمي مشترك، وهو: مَن – ما– ذو الطّائيّة، وهي أسماء تستعمل بشكل واحد لا تتغيّر لا مفردا، ولا مثنّى،ولا جمعا،عاقلا كان أم غير عاقل. ولنذكّر بالقسم الآخر من الموصولات نظير الموصوا الاسمي ، ألا وهو الموصول الحرفيّ ؛ فهو كلّ حرف أمكن تأويله مع مدخوله بمصدر، والموصولات الحرفيّة ستّة، هي: أن– أنّ – ما – كي – لو – الذي (وخضتم كالذي خاضوا) أي كخوضهم .. (اللّبديّ، .، الصفحات 443-444).

ومن أمثلة الموصولات العامّة، فمنها: خشي...أعطى واتّقى وصدّق كان...بخل...استغنى...كذّب... تواصو.. تواصو... فتنوا... طغا. آثر... خاف، نهى...ضرب... فيقول هاؤم اقرؤوا... وثمّة أفعال ماضية دلّت على الاستقبال لارتباطها بأنباء الغيب: رضي... رضوا... قد أفلح.. وقد خاب...، خالدين (اسم فعل يعمل عمل فعله)، وثمّة أفعال المضارعة، وأفعال أمر وهي ههنا دالّة على الاستقبال لتعلّقها بأنباء الغيب من جهة، والسيّاق يؤكّد دلالتها على الاستقبال، لا الحال، ومنها: تجري...سنيسّره...سوف يحاسب...ينقلب... أوتي...سوف يحاسب... سوف يدعو....يُصلّى...لن يحور...كان... يشهد...تظنّ... يقول يكفّر...يدخل...لا تعتذروا اليوم...تُجزون...ادخلا...ابن...نجّ...ولو نظرنا في هذه الأفعال عموما لوجدناها جميعها تؤول إلى نتيجة تتحقّق بالفعلين: أفلح، وخاب ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[الشّمس: 9-10]. ومن جهة أخرى فهي أفعال يختصّ كلّ منها بعمل معيّن، اللهّم الفعل (عملوا) فهو فعل عامّ (حساني، 1993، صفحة 22)

ويمكن اعتبار بقية الأفعال تدور في فلكه، إذ هي ليست إلّا عملا صالحا ينتفع به صاحبه في الدّنيا أولا، أو عمل طالح يضرّ بصاحبه في الدّنيا أوّلا والموعد في الآخرة يوم يقوم النّاس لربّ العالمين. ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَه وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَه ﴾[الزّلزلة: 08-09]. والظّاهر ههنا » تخصيص العامل، أي: فمن يعمل مثقال ذرّة خيرا من السّعداء ؛ لأنّ الكافر لا يرى في الآخرة خيرا (وتعميم ومن يعمل مثقال ذرّة شرّا) من الفريقين لأنّه تقسيم جاء بعد قوله تعالى ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴾[الزّلزلة: 06]. وقال ابن عبّاس: هذه الأعمال في الآخرة ، فيرى الخير كلّه من كان مومنا، والكافر لا يرى في الآخرة خيرا) ؛ لأنّ خيره قد عُجّل له في دنياه ، والمؤمن تّعجّل له سيّئاته الصّغائر في دنياه في المصائب والأمراض ونحوها، وما عمل من خير أو شرّ رآه ، ونبّه بقوله (مثقال ذرّة) على أنّ ما فوق الذّرّة يراه قليلا كان أو كثيرا وهذا ما يُسمّى مفهوم الخطاب ، وهو أن يكون المذكور و المسكوت عنه في حكم واحد، بل يكون المسكوت عنه بالأولى في ذلك الحكم، كقوله تعالى: ﴿ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾[الإسراء: 23]. والظّاهر انتصاب (خيرا – شرّا) على التّمييز؛ لأنّ (مثقال ذرّة مقدار)، وقيل:

بدل من مثقال، وقرأ الجمهور بفتح الياء فيهما (يَره)، أي: يرى جزاءه من ثواب وعقاب. وقرأ الحسين بن علي، وابن عبّاس، وعبد الله بن مسلم، وزيد بن علي والكلبيّ، وأبو حيوة، وخليد بن نشيط، وأبان عن عاصم والكسائيّ، في رواية حميد بن الرّبيع عنه بضمّها (يُره)، وهشام وأبو بكر بسكون الهاء فيهما، وأبو عمرو بضمهما مشبعتين، وقرأ باقي السّبعة بإشباع الأولى وسكون الثّانية، والإسكان في الوصل لغة حكاها الأخفش ولم يحكها سيبويه، وحكاها الكسائيّ أيضا عن بني كلاب وبني عقيل. وهذه الرّؤية رؤية بصر. وقال النّقّاش: ليست برؤية بصر، وإنّما المعنى يصيبه ويناله. وقرأ عكرمة (يراه) بالألف فيهما، وذلك على لغة من يرى الجزم بحذف الحركة المقدّرة في حروف العلّة، حكاها الأخفش أو على توهّم من أنّ (من) موصولة، لا شرطيّة، كما قيل في إنّه (من يتّقي ويصبر) في قراءة من أثبت ياء(يتّقي) وجزم (يصبر) توهّم أنّ (من) شرطيّة، لا موصولة، فجزم و(يصبر) عطفا على التّوهّم ، والله تعالى أعلم » (الأندلسيّ، صفحة 498).

والعموميّة والخصوصيّة من السّمات الدّلاليّة للأفعال، فثمّة أفعال تدلّ على أحداث مطلقة عامّة، وثمة أفعال تدلّ على أحداث مقيّدة بلازمة الزّمن والفاعليّة والمفعوليّة...وثمّة أفعال عامّة تدلّ دلالة مطلقة على الحدث العام، دون تخصيص أو تقييد، ومنها: فعل، وعمل، وصنع...فيعسر الجزم بتعديتها أو بلزومها، إذ يقول السّيوطي في هذا الشّأن: « عمل لا يتعدّى ؛ لأنّ معناه العمل، والعمل من حيث هو لا يتعدّى إلّا إذا أريد به عمل خاصّ، فيكون ذلك العمل الخاص هو المتعدّي لا مُطلق العمل، ومدلول عمل إنّما هو مطلق العمل فيصحّ أنّ عملها لا يتعدّى، وهكذا فعل وصنع ». وهذه الخاصّية أشار إليها أيضا الزّركشيّ في كتابه البرهان في علوم القرآن، فقد ميّز بين الأحداث وأمّهات الأحداث، التي هي أحداث عامّة و مطلقة، وهي عنده: فعل، وعمل، وجعل...وهذا التّصنيف الثّنائيّ المذكور آنفا اتّخذه اللّغويون القدامى فيصلا فارزا يميّزون به بين الأحداث العامّة المطلقة والأحداث الخاصّة المقيّدة التي يتمّ تحقيقها في الواقع اللّغويّ بفعل فاعل، وهي إما مكتفية به غير متعدّية إلى سواه، أو متجاوزة إياه للوقوع على شيء آخر خارج عن ذاته (حساني، 1993، صفحة 22).. (الزّركشيّ، 2013، الصفحات 953-988).

خامسا: مسحة بلاغيّة:

لعلّ المتدبّر في هذه الآيات الكريمة من ناحية المستوى البلاغيّ يلحظ طغيان المقابلة (لون من ألوان البديع) في هذه التّصنيفات، ومن بيان ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ﴾[الزّلزلة:6-9] . وسمّاها القرآن أمًّا ؛ لأنّ الأمّ مأوى الولد ومفزعه، فنار جهنّم تأوي هؤلاء المجرمين كما يأوي الأولاد إلى أمّهم، وتضمّهم إليها كما تضمّ الأمّ الأولاد إليها، قال أبو السّعود:"هاوية " اسم من أسماء النّار، سُميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها، روي أنّ أهل النّار يهوون فيها سبعين خريفا " (الصّابونيّ، ..، صفحة 596). ومن لطافة هذه المقابلة أنّ القرآن الكريم يجمع بين التّرغيب والتّرهيب ، والخوف والرّجاء ، قال جلّ وعلا : ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾[الكهف:49].

إضافة إلى المقابلة يُلاحظ في هاتين الآيتين الاحتباك(محسّن بديعي) وهو أن تحذف من كلّ نظير ما أثبتّه فيي الآخر، فقد حُذف من الأول (فأمّه الجنة) وذكر فيها (عيشة راضية) وحُذف من الآية الثّانية (فهو في عيشة ساخطة) وذُكر (فأمّه هاويه) فحذف في كلّ نظير ما أثبته في الآخر (الصّابونيّ، ..، صفحة 597). وقوله جلّ وعلا: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [البيّنة :6-7] فإن قيل: لم ذُكر(كفروا) بلفظ الفعل، و (المشركين) بلفظ اسم الفاعل ؟ فالجواب تنبيها على أنّ أهل الكتاب ما كانوا كافرين من

أوّل الأمر، لأنّهم كانوا مصدّقين بالتّوراة والإنجيل، ومقرّين بمبعث محمّد عليه السّلام، بخلاف المشركين فإنّهم وُلدوا على عبادة الأوثان وإنكار الحشر والقيامة " (الصّابونيّ،، ..، صفحة 588). ويلاحظ ههنا أيضا التّأكيد ب " إنّ ". والمقابلة كذلك في قوله جلّ وعلا: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى ﴾[اللّيل: 5-10] .

ويلاحظ في هذا التّركيب حذف المفعول به، وهو معروف من تحصيل الحاصل: أعطى المال واتّقى الله، قال ابن كثير: أعطى ما أُمِرَ بإخراجه،، واتّقى الله في أموره (الصّابونيّ،، ..، صفحة 570). وقوله جلّ شأنه: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ﴾ [الشّمس:9-10] وهذا جواب قسم، أي: " لقد فاز وأفلح من زكّى نفسه بطاعة الله، وطهّرها من دنس المعاصي والآثام وقد خسر من حقّر نفسه بالكفر والمعاصي، وأوردها موارد الهلكة، فإنّ من طاوع نفسه وعصى أمر مولاه، فقد نقص من عداد العقلاء، والتحق بالجهلة الأغبياء " وعليه فلا ينبغي أن يمدح الإنسان نفسه على سبيل الإعجاب، ولا يشهد لها بالكمال والتّقى؛ فإنّ النّفس خسيسة إذا مُدحت اغترّت، وتكبّرت، قال أبو حيّان: أي: لا تنسبوها إلى الطّهارة من المعاصي، و لاتُثنوا عليها، فإنّ الله قد علم منكم الزّكيّ والتّقيّ قبل إخراجكم من صلب آدم، وقبل إخراجكم من بطون أمّهاتكم ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴾[النّجم: 32] (الصّابونيّ،، ..، صفحة 566. 32، 277.).

وقد ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى ﴾النّجم: 31]. أي: " لا يزكّي بعضكم بعضا تزكية السّمعة أو المدح للدّنيا، أو تزكية بالقطع،وأمّا التّزكية لإثبات الحقوق فجائزة للضّرورة، فالله تعالى عالم بنا تمام العلم والقدرة ، فبطن الأمّ في غاية الظّلمة ، ومن علم حالَه وهو مُجنٌ، لا يخفى عليه حاله وهو ظاهر" (الأندلسيّ، صفحة 168).

والذي يقوم بإحصاء المقابلات التي اختصّت بآيات التّصنيف الثّنائيّ، يلفها خمس عشرة.وقد حصرت بعض المعاجم البلاغيّة أنواع المقابلة (في الجزء من سورة النّاس إلى سورة الملك). (مخيمر، 2005م، الصفحات 379-382) والذي يتدبّر ألوب المقابلة في التّنزيل يستشفّ منه أسلوبا تربويا رائعا جامعا بين التّرغيب والتّرهيب. ولله المثل الأعلى، قال تعالى:﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾[.الرّوم: 26].

خاتمـــــة:

أ -إنّ المتدبّر في آي التّنزيل خصوصا ما يتعلّق فيها بالتّصنيفات المعنويّة، ليلفها كثيرة وكثيرة وتحاشيا للطّول اقتصرت ورقتي ذه على ثلاثة أحزاب في قصار السّور، فقد احتوت تصنيفات ثنائيّة، وإن كانت هناك تصنيفات ثلاثيّة لآي أجزاء أخرى من القرآن الكريم، وعموما فهذه التّصنيفات المعنويّة ههنا، قد ارتبطت في مجملها بالأعمال البشريّة، وما يتعلّق بها من جزاء،والجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿ فمن زحزح عن النّار وأُدخل الجنّة فقد فاز﴾[آل عمران: 185]. وذلك هو الفوز العظيم.

ب- التّنزيل مجال رحب وفسيح لمختلف التّأمّلات والتّدبّرات التي من شأنها أن تزوّد البحثة والدّارسين في مختلف مستويات التّحليل اللّغويّ بمادّة خام من ينبوع صاف للدّراسة المأجورة عند الله تعالى، قال الله تعالى:﴿ أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[النّساء: 81]. وقال جلّ وعلا:﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمّد: 25]

ج- التّصنيف وسيلة من وسائل اكتساب المعرفة، بله تنظيمها وتيسيرها على الدّارسين، ومجاله واسع لا يقتصر على علم دون آخر.ولاينبغي أن يعزب عنّا دوره في الصّناعة المعجمية، وهل المعجم ليست إلّا تصنيفات مؤسّسة؟؟؟

د- القرآن الكريم مصدر إلهام لمناهج البحث المختلفة،ومنهج المقارنة واحد منها، ونعزّز القيل بقوله تعالى﴿ ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾[الأنعام: 38].

هـ-منهج المقارنة منهج موغل في تراثنا، ولا يمكن أن يقوم تصنيف بمعزل عنها.

و-التّصنيف والمقارنة يقومان أساسا على إعمال العقل والحواس في النّظر و التّأمّل والتّدبّر، وقد دعا التّشريع الإسلامي إلى هذه العمليات في غير ما آية منها قوله تعالى: ﴿أفلا ينظرون...﴾[الغشية: 17]﴿ أفلم ينظروا ﴾[ق:06]﴿ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾[الذّاريات: 21]﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾[محمّد:25/النّساء:81]والآيات في هذا الشّأن كثيرة..

ي-اجتماع الضّدّين أمر مستحيل، فلا يكون المرء مثلا صالحا وطالحا في آن،ولا يكون من الصّنف الأول والثّاني في آن، أو من الصّنف الأول والثّالث في آن... وقس على ذلك (وعدم التّناقض مبدأ هام من مبادئ علم المنطق).

ز- التّصنيف إرهاص من إرهاصات ميلاد نظريّة الحقول الدّلاليّة بمعناه الحالي، وهي موغلة في الدّراسات التّراثيّة بشكل مباشر، وغير مباشر... وعلى الله قصد السّبيل.

مكتبة البحث:

- القرآن الكريم *رواية ورش عن نافع*-رحمهما الله تعالى.

1) الاستراباذي, ا .(1982) .، *شرك الكافية* .(éd. 3, Vol. 1)بيروت :دار الكتب العلميّة.

2) الأندلسيّ, م .ب .*تفسير البحر المحيط* .(Vol. 8)بيروت :دار الكتب العلمي.

3) البخاريّ2011) .م .(*صحيح البخاري-الجامع الصّحيح*، .(Vol. 1)القاهرة.

4) الرّديني, م .ع .(2006) .*المعجمات العربيّة دراسة منهجيّة* .(éd. 2)عين مليلة :دار الهدى.

5) الرّديني ,م .ع .(.) .*مباحث لغويّة* . :. .

6) الزّجّاجيّ ,أ .ا1959) .م .(*الإيضاح في علل النّحو* .مصر :مطبعة المدني.

7) الزّركشيّ ,ب .ا .(2013) .، *البرهان في علوم القرآن* .(éd. 1)القاهرة :دار ابن الجوزيّ،.

8) الزّمخشريّ ,ج .ا1918) .م .(*الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون* .(éd. 1)المملكة العربيّة السّعوديّة :مكتبة العبيكة،الرياض.

9) الصّابونيّ، ,ا .م .(..) .*صفوة التّفاسير* .(Vol. 2)الجزائر :قصر الكتاب، البليدة، شركة الشّهاب،.

10)اللّبديّ ,م .س .(.) .*معجم المصطلحات النّحويّة والصّرفيّة* .بيروت/الجزائر :مؤسّسة الرّسالة ، قصر الكتاب البليدة، دار الثّقافة .

11)المالكيّ ,ع .ا1997) .م .(*تفسير الثّعالبيّ المسّمى بالجواهر الحسان في تفسير القرآن* .(éd. 1, Vol. 4)بيروت : دار إحياء التّراث، مؤسّسة التّاريخ العربيّ.

12)المجالي ,ج .(1999.) .*طبقات الشّعراء في النّقد الأدبي عند العرب ، عمذان ، الأردن ، ط1، ، ص ص -44 :* . .(éd. 1) *.55*بيروت. :دار الجيل.

13)حساني ,أ .(1993) .، *.المكوّن الدّلاليّ للفعل في اللّسان العربيّ، د.م.ج، //12ص* .(Vol. 12) *.22 :*الجزائر : د.م.ج.

14)خضر ,ا2009) .م .(*فواصل الآيات القرآنيّة، دراسة بلاغيّة دلاليّة* .(éd. 2)مصر :مكتبة الآداب.

15)خلدون ,ا .(2020) .*البداية* .وهران :بيت الحكمة.

16)دراقي ,ز .(1984) .*المفيد الغالي في الأدب الجاهليّ* .الجزائر :د.م.ج.

17)زيدان ,ج .(1978) .*تاريخ آداب اللغة العربيّة* .بيروت :طبعة مكتبة دار الحياة.

18)صالح ,ب .ع .(.) .، *الإعراب المفصّل لكتاب الله المرتّل* .(Vol. 12)دار الفكر للنّشر والتّوزيع.

19)عاشور ,م .ا .(.) .، *تفسير التّحرير والتّنوير*، . ., .(Vol. 30)

20)عزّوز ,أ .(2002) .*أصول تراثيّة في نظريّة الحقول الدّلاليّة* .دمشق :منشورات اتّحاد الكتّاب العرب.

21)قتيبة ,ا2010) .م .(*الشّعر والشّعراء*) .أ .م .شاكر (.Éd ,مصر :.دار الآثار للنّشر والتّوزيع.

22)مخيمر ,م .ص2005) .م .(معجم *الأساليب البلاغيّة في القرآن الكريم* .الأردن :دار الكتاب، الثّقافيّ ، ودار المتنبّي.